الآثار المتعارضة الواردة في نزول سورة التوبة، كاملة، أو مفرقة، جمع ودراسة

أ٠ د٠ أحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصيِّر (*)

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

موضوع البحث:

يتناول هذا البحث: جمع ودراسة الآثار الواردة في نزول سورة التوبة، كاملة، أو مفرقة، حيث ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه ما يدل بظاهره على نزولها جملة واحدة، ووردت آثارٌ أخرى في سبب نزول بعض آيات السورة تدل على نزولها مفرقة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تتبع أثر البراء، وذلك بتخريجه وبيان طرقه وألفاظه، وبيان ما فيه من علل في إسناده ومتنه، ثم الحكم عليه، مع عرض الآثار الأخرى التي تعارضه، وتخريجها وبيان درجتها، ثم عرض مسالك العلماء في دفع التعارض بين هذه الآثار، ثم الموازنة والترجيح.

أهم النتائج:

١– رُوِيَ أثر البراء بلفظ مشكل، وهو قوله: "آخر سورة نزلت كاملة براءة"، وقوله: "آخر سورة نزلت تامة براءة"، ورُوِيَ بلفظ آخر غير مشكل، وهو قوله:

(*) الأستاذ بقسم القرآن وعلومه – كلية الشريعة – جامعة القصيم.
Email: aksaier@qu.edu.sa

"آخر سورة نزلت براءة"، دون قوله: "كاملة"، وكلا الروايتين مخرجة في الصحيحين.

٢- الآثار المتعارضة مع أثر البراء كثيرة، أغلبها جاء في الصحيحين، وكلها تدل على نزول السورة مفرقة.

٣- رجَّح الباحث أن ما رُويَ عن البراء من نزول سورة التوبة كاملة هو اجتهاد منه، وليس هو من المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا في حكم المرفوع.

الكلمات الدالة (المفتاحية): علوم القرآن، آثار، تعارض، تحقيق.

**

المقدمة

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أخرج الشيخان عن البراء بن عازب، رضي الله عنه، أنه قال: "آخر سورة نزلت كاملة براءة"، وهذا الأثر يدل بظاهره على نزول سورة التوبة جملة واحدة، وهو يتعارض مع الآثار الأخرى الواردة في سبب نزول بعض آيات السورة، التي تدل على نزول السورة مفرقة، لا جملة واحدة، وقد أورد جمع من المفسرين والمحدثين أثر البراء، واستشكلوه، وذكروا عدة مسالك في دفع التعارض بينه وبين الآثار الأخرى الدالة على نزول السورة مفرقة، إلا أن هذه المسالك متفرقة، ولم تُجمع في مؤلف مستقل، وبعضها يحتاج إلى دراسة وتحقيق، كما أن كل المفسرين والمحدثين وغيرهم يوردون أثر البراء بشكل مختصر، دون تقصٍ له، من حيث تخريجه، وبيان طرقه وألفاظه، وبيان ما فيه من عللٍ في إسناده ومتنه، لذا فقد جاءت فكرة هذا البحث لتسلط الضوء على أثر البراء خاصة، وذلك من حيث تخريجه، ودراسة أسانيده وألفاظه، وبيان المشكل منها، والحكم عليه، ثم عرض الآثار الأخرى التي تتعارض معه، مع تخريجها، وبيان درجتها، ثم عرض مسالك العلماء ومذاهبهم في دفع التعارض بين أثر البراء والآثار الأخرى، ثم الموازنة والترجيح.

مشكلة البحث وأهدافه:

يعالج هذا البحث مشكلة التعارض بين أثر البراء الذي يدل بظاهره على نزول سورة التوبة كاملة، والآثار الأخرى التي تدل على نزول السورة مفرقة، وذلك بتخريج أثر البراء، وبيان طرقه وألفاظه، وبيان ما فيه من عللٍ في إسناده ومتنه، ثم عرض مسالك العلماء ومذاهبهم في دفع التعارض بينه وبين الآثار الأخرى، ثم الموازنة والترجيح.

الدراسات السابقة:

من خلال تتبعي لكشافات الكتب والدوريات والمجلات العلمية، وغيرها، لم أقف على بحث علمي تناول هذا الموضوع بالدراسة والتحقيق.

خطة البحث:

جعلتُ البحث في: مُقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومشكلة البحث وأهدافه، والدراسات السابقة حول الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

التمهيد: وفيه تعريف التعارض والاختلاف في الحديث، ومسالك العلماء في دفعه.

المبحث الأول: وفيه عرض الآثار المتعارضة الواردة في نزول سورة التوبة: كاملة، أو مفرقة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار الواردة في نزول سورة التوبة كاملة، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في نص الأثر:

المسألة الثانية: في تخريج الأثر وبيان طرقه وألفاظه.

المسألة الثالثة: في بيان ما في الأثر من علل في متنه وإسناده.

المسألة الرابعة: في الحكم على الأثر.

المطلب الثاني: الآثار الواردة في نزول سورة التوبة مفرقة.

المبحث الثاني: بيان وجه التعارض بين هذه الآثار.

المبحث الثالث: مسالك العلماء في دفع التعارض بين هذه الآثار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مسلك الجمع.

المطلب الثاني: مسلك الترجيح.

المبحث الرابع: الموازنة والترجيح.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

منهج البحث:

١– جمعت كل ما وقفت عليه من طرق وألفاظ لأثر البراء بن عازب رضي الله عنه، وذلك من مظانها في كتب: التفسير والحديث، وغيرها.

٢– خرَّجت أثر البراء، وبينت ما فيه من علل في أسانيده، ومتنه.

٣– خرَّجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث؛ وذلك من مظانها في كتب التفسير، والحديث، وغيرها، مع ذكر كلام أهل العلم فيها –إن وجد– فإن لم يوجد اجتهدت رأيي في الحكم عليها حسب الصناعة الحديثية.

٤– ذكرت مسالك العلماء في دفع التعارض بين أثر البراء، والآثار الأخرى.

٥– بينت معاني الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى بيان عند أول ورودها، وذلك بالرجوع إلى مصادرها المختصة.

٦– أشرت إلى مواضع الآيات، بذكر أسماء السور وأرقام الآيات.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يمنحنا الفقه في دينه، وأن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح، كما أسأله أن يجزي علماء الأمة خير الجزاء، وأن يوفقنا لسلوك طريقهم، إنه جلّ وعلا جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

وفيه تعريف التعارض والاختلاف في الحديث، ومسالك العلماء في دفعه[1]:

أولا: تعريف التعارض والاختلاف في اللغة والاصطلاح:

التعارض في اللغة: مأخوذ من مادة "عَرَضَ"، وهذه المادة لها عدة دلالات:

الأولى: المنع: يُقال: عَرَضَ الشيء يَعْرِضُ واعترض، إذا انتصب ومنع وصار عارضاً.

الثانية: الظهور: يُقال: عرض عليه الشيء، إذا أظهره وأبداه.

الثالثة: المُعارَضَة: يُقال: عارض الشيء بالشيء مُعارضة، أي قابله، وعارضتُ كتابي بكتابه، أي قابلته.

الرابعة: المساواة والمِثْل: يُقال: عارض فلانٌ فلاناً إذا فعل مثل فعله.[2]

والمنع هو المقصود في معنى التعارض الذي يقع بين الأحاديث النبوية، بمعنى أنَّ أحد الحديثين يمنع مدلول الآخر، ويَعْتَرِضُ له.

والاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، يُقال: تَخَالَفَ الأمْرانِ واختلفا؛ إذا لم يَتَّفِقَا، وتَخَالَفَ القوم واخْتَلَفُوا؛ إذا ذهب كلّ واحد إلى خِلافِ ما ذهب إليه الآخر.[3]

وأما تعريف التعارض والاختلاف في الاصطلاح، فهناك عدة تعريفات للعلماء، ومن أشهر هذه التعريفات ما ذكره النووي، حيث قال: "هو أنْ يأتي حديثان

---

(١) هذا المطلب أفدته من كتاب: الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم، لأحمد القصير (ص٢٧-٣١) و (٤١-٤٢).

(٢) انظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد (٢٧٢/١)، وتهذيب اللغة، للأزهري (٤٥٤/١)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٧٢/٤)، ولسان العرب، لابن منظور (١٦٨/٧-١٦٩)، والتعارض والترجيح، للبرزنجي (١٥/١).

(٣) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص١٠٤٢)، ولسان العرب، لابن منظور (٩١/٩)، والمصباح المنير، للفيومي (ص١٧٩).

متضادَّان في المعنى ظاهراً، فيُوفَّقُ بينهما، أو يُرجَّح أحدهما".[١] وعرفه الحافظ ابن حجر بأنه: "الحديث الذي عارضه ظاهراً مثله".[٢]

ثانيا: مسالك العلماء في دفع التعارض بين الأحاديث:

إذا وقع تعارضٌ ظاهري بين حديثين فإن للعلماء في دفعه ثلاثة مسالك، يجب اتباعها على الترتيب الآتي[٣]:

أولاً: الجمع:

فإن أول ما يجب على المجتهد هو محاولة الجمع بين الحديثين المتعارضين ما أمكن، ولا يجوز له إعمال أحد الحديثين وترك الآخر؛ إلا إذا تعذر الجمع، أو ثبت أنَّ أحدهما ناسخ والآخر منسوخ، أو ثبت أنَّ في أحدهما علة توجب رده وعدم قبوله.

قال الشافعي: "لا يُنسب الحديثان إلى الاختلاف ما كان لهما وجهٌ يمضيان معاً".[٤] وقال: "وكلما احتمل حديثان أنْ يُستعملا معاً استعملا معاً، ولم يُعَطِّلْ واحدٌ منهما الآخر".[٥]

وقال الخطابي: "وسبيل الحديثين إذا اختلفا في الظاهر وأمكن التوفيق بينهما وترتيب أحدهما على الآخر أنْ لا يُحملا على المنافاة ولا يُضرب بعضها ببعض، لكن يُستعمل كل واحدٍ منهما في موضعه، وبهذا جرت قضية العلماء".[٦]

---

(١) التقريب للنووي (١١٥/٢)، مطبوع مع شرحه «تدريب الراوي»، للسيوطي.
(٢) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر (ص٢٠).
(٣) انظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير (ص١٧٠)، والبحر المحيط، للزركشي (١٦٨/٨)، وفتح المغيث، للسخاوي (٧٣/٣)، وتدريب الراوي، للسيوطي (١١٦/٢)، وقواعد التحديث، للقاسمي (ص٣١٣)، ومختلف الحديث، لأسامة خياط (ص١٣٧)، وأحاديث العقيدة، للدبيخي (٤٠/١).
(٤) الرسالة، للشافعي (ص٣٤٢).
(٥) اختلاف الحديث، للشافعي (ص٤٨٧).
(٦) معالم السنن، للخطابي (٦٨/١).

ثانياً: النسخ:

إذا تعذَّر الجمع بين الحديثين المتعارضين، أو ثبت أنَّ أحدهما ناسخ للآخر؛ فإنه يُصار حينئذٍ إلى النسخ.

قال الشافعي: "فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف، كما اختلفت القبلة نحو بيت المقدس والبيت الحرام، كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً، ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ إلا بخبرٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بقولٍ، أو بوقتٍ، يدل على أنَّ أحدهما بعد الآخر، فيُعلم أنَّ الآخر هو الناسخ، أو بقولِ من سمع الحديث".(١)

ثالثاً: الترجيح:

إذا تعذر الجمع بين الحديثين، ولم يَقُم دليل على النسخ؛ فإنه يُصار حينئذ إلى الترجيح، وهو أن يُعمل بأحد الدليلين ويترك الآخر.

قال الشافعي: "لا يخلو أحد الحديثين أنْ يكون أشبه بمعنى كتاب الله، أو أشبه بمعنى سنن النبي صلى الله عليه وسلم، مما سوى الحديثين المختلفين، أو أشبه بالقياس، فأي الأحاديث المختلفة كان هذا فهو أولاهما عندنا أنْ يصار إليه".(٢)

---

(١) اختلاف الحديث (ص٤٨٧).

(٢) اختلاف الحديث (ص٤٨٧).

المبحث الأول

وفيه عرض الآثار المتعارضة الواردة في نزول سورة التوبة: كاملة، أو مفرقة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأثر الوارد في نزول سورة التوبة كاملة، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في نص الأثر:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: "آخر سورة نزلت كاملة براءة"، وفي رواية: "آخر سورة نزلت تامة براءة"، وفي رواية: "آخر سورة نزلت براءة".

المسألة الثانية: في تخريج الأثر وبيان طرقه وألفاظه:

رُويَ أثر البراء بن عازب، رضي الله عنه، من طريق أبي إسحاق، وهو عمرو بن عبد الله السبيعي، عن البراء، به. وله عن أبي إسحاق ستة طرق:

الأول: طريق شعبة بن الحجاج، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: "آخر سورة نزلت براءة". وله عن شعبة أربعة طرق:

أولا: طريق سليمان بن حرب، عن شعبة، به. أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠/٦)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص٣٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٣٦/٧).

ثانيا: طريق أبي الوليد الطيالسي، عن شعبة، به. أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤/٦)، وأبو عوانة في مستخرجه (٤٤١/٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٠٥/٣)، (٣٠٥/٦)، (٢٣٧/١٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٤)، وفي التفسير الوسيط (١٤٥/٢)، (٤٧٥/٢)، وابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٢٨/٥).

ثالثا: طريق محمد بن جعفر، عن شعبة، به. أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٣٦/٣)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١/١٠)، وأبو يعلى في مسنده

(٢٦٧/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٥٩٣/٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (ص٤٨٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٥٩٧/٣).

رابعا: طريق عمرو بن مرزوق، عن شعبة، به. أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص٣٥).

وجميع الطرق عن شعبة جاءت بلفظ: "آخر سورة نزلت براءة"، دون قوله: "كاملة"، وجميعها جاء فيها التصريح بسماع أبي إسحاق من البراء، عدا رواية ابن الضريس، من طريق سليمان بن حرب، ورواية ابن حزم، من طريق أبي الوليد، لكنهما خولفا، فهي عند البخاري وغيره في كلا الطريقين جاءت بالتصريح بالسماع.

الثاني: طريق إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه، قال: "آخر سورة نزلت كاملة براءة". وله عن إسرائيل أربعة طرق:

أولا: طريق وكيع، عن إسرائيل، به. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤٧/٦)، والمستغفري في فضائل القرآن (٥٥٦/٢).

ثانيا: طريق حُجَيْن، عن إسرائيل، به. أخرجه أحمد في مسنده (٥٩٥/٣٠).

ثالثا: طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، به. أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١١٣/١)، وأبو عوانة في مستخرجه (٤٤١/٣).

رابعا: طريق عبد الله بن رجاء، عن إسرائيل، به. أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٧/٥).

خامسا: طريق مصعب بن المقدام، عن إسرائيل، به. أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣٤/٩).

وجميع الطرق عن إسرائيل جاءت بلفظ: "آخر سورة أنزلت كاملة براءة"، بزيادة: "كاملة"، وجميعها لم يُصرح فيها أبو إسحاق السبيعي بسماعه من البراء.

وقد رُوِيَ من وجه آخر عن إسماعيل، عن أبي إسحاق، ولفظه مطابق لرواية شعبة، التي لم يذكر فيها لفظة: "كاملة". أخرجه القطيعي في جزء الألف دينار (ص٤٥٤)، والمزي في تهذيب الكمال (١٠٧/١٩)، كلاهما من طريق محمد بن يونس بن موسى القرشي، عن أبي علي الحنفي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، به. وأبو علي الحنفي ثقة من رجال الصحيحين، والآفة من الراوي عنه، وهو محمد بن يونس؛ فإنه ضعيف، كما في التقريب، لابن حجر (ص٥١٥)، وقد تفرد بهذا اللفظ ولم يُتابع عليه، إلا أنه موافق لبقية الرواة الذين رووه عن إسماعيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، معنعنا.

الثالث: طريق زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن البراء: "أن آخر سورة أنزلت تامة: سورة التوبة". أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٣٧/٣). وهو موافق لرواية إسرائيل في إسناده من حيث روايته معنعنا، وفي لفظه؛ غير أنه قال: "تامة"، بدل: "كاملة".

الرابع: طريق عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: "آخر سورة نزلت كاملة سورة التوبة". أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٣٧/٣)، وأبو عوانة في مستخرجه (٤٤١/٣). وهو موافق لرواية إسرائيل في إسناده من حيث روايته معنعنا، وفي لفظه.

الخامس: طريق أبي الأحوص، وهو سلام بن سليم، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: "آخر سورة نزلت كاملة سورة براءة". أخرجه أبو عوانة في مستخرجه (٤٤١/٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٠٦/٦). وهو موافق أيضا لرواية إسرائيل في إسناده من حيث روايته معنعنا، وفي لفظه.

السادس: طريق عبد ربه، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: "آخر سورة نزلت من القرآن التوبة". أخرجه المخلص في المخلصيات (٤١٩/١)، من طريق عبد الله بن لهيعة، به. وهو موافق لرواية شعبة، حيث لم يذكر لفظة: "كاملة"، وفيه

عنعنة أبي إسحاق؛ إلا أن إسناده ضعيف، ولا يُعتبر به، فيه ابن لهيعة، صدوق، خلط بعد احتراق كتبه؛ كما في التقريب (ص٣١٩).

المسألة الثالثة: في بيان ما في الأثر من علل في متنه وإسناده:

مدار إسناد هذا الأثر يدور على أبي إسحاق السبيعي، عن البراء، به. وقد اختُلِفَ فيه على أبي إسحاق في متنه، وفي إسناده، وفيما يلي بيان ما فيه من علل في المتن والإسناد:

أولا: علل المتن: حيث اختُلِفَ فيه على أبي إسحاق، في لفظه؛ فرُوِيَ بلفظ: "آخر سورة نزلت كاملة براءة"، وروي بلفظ: "آخر سورة نزلت براءة"، دون قوله: "كاملة"، والرواة عن أبي إسحاق خمسة، اتفق أربعة منهم على روايته بهذه الزيادة، وهم: إسرائيل بن يونس، وزكريا بن أبي زائدة، وعمار بن رزيق، وأبو الأحوص، وهو سلام بن سليم، ورواه شعبة بغير هذه الزيادة؛ فرواه بلفظ: "آخر سورة نزلت براءة"، دون قوله: "كاملة".

ثانيا: علل الإسناد، وهي ثلاث:

الأولى: عنعنة أبي إسحاق، حيث لم يُصَرِّح بسماعه من البراء، في جميع الطرق التي جاءت فيها هذه الزيادة، وأبو إسحاق ثقة ثبت، إلا أنه مدلس؛ ولا يُقبل من حديثه إلا بما صرح فيه بالسماع، وقد عَدَّه ابن حجر من الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين، وهم: الذين أكثروا من التدليس، فلم يَحتجَّ الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع. انظر: تهذيب التهذيب (٦٦/٨)، وتعريف أهل التقديس (ص:١٣، ٤٢)، كلاهما لابن حجر.

العلة الثانية: اختلاط أبي إسحاق بآخره، وكل الذين رووه عنه بهذه الزيادة سمعوا منه بعد الاختلاط؛ أما إسرائيل: فقد نص على سماعه منه بعد الاختلاط: ابن معين(١)، وأحمد(٢)، والعجلي(٣).

وأما زكريا بن أبي زائدة: فقد نص على سماعه منه بعد الاختلاط: ابن نمير(٤)، وابن معين(٥)، وأحمد(٦)، والعجلي(٧)، وأبو زرعة(٨).

وأما عمار بن رزيق: فقد ذكر أبو حاتم أنه سمع منه بعد الاختلاط.(٩)

---

(١) انظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (٢٠٩/١)، والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للعراقي (ص٤٤٥)، والاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، للعجمي (ص٢٧٣)، تهذيب التهذيب، لابن حجر (١٣٤/١).

(٢) انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٣٣١/٢)، والتعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، للباجي (٤٠٣/١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي (٥١٩/٢)، وشرح علل الترمذي، لابن رجب (٧١٠/٢).

(٣) انظر: تاريخ الثقات، للعجلي (٣٧٢/١).

(٤) انظر: سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي (ص٩٥)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (٢٣٢/٤٦).

(٥) انظر: تاريخ ابن معين – رواية الدوري (٣٧٢/٣)، وميزان الاعتدال، للذهبي (٢٠٩/١)، وشرح علل الترمذي، لابن رجب (٧١١/٢).

(٦) انظر: مسائل الإمام أحمد، رواية ابنه صالح (٤٥٧/٢)، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٥٩٤/٣)، والتعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، للباجي (٥٩١/٢)، وشرح علل الترمذي، لابن رجب (٧١١/٢)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٦٣١/١).

(٧) انظر: الثقات، للعجلي (٣٧٠/١).

(٨) انظر: شرح علل الترمذي، لابن رجب (١٠٥/١).

(٩) انظر: العلل، لابن أبي حاتم (٢٨٨/٥).

وأما أبو الأحوص: فلم أقف على من حرر سماعه منه، هل كان قبل الاختلاط أم بعده.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن أبا إسحاق لم يختلط بآخره، كالعلائي[١]، والذهبي[٢]، لكن جمهور أهل العلم على القول باختلاطه.

العلة الثالثة: أن شعبة صرح بأن أبا إسحاق سمعه من البراء، بخلاف بقية الرواة عن أبي إسحاق، فقد رووه عن أبي إسحاق، عن البراء، معنعنا، وشعبةُ لا يروي عن أبي إسحاق إلا بما صرح فيه بالسماع. قال شعبة: "كفيتكم تدليس ثلاثة: الأعمش، وأبي إسحاق، وقتادة"[٣]، وأيضا شعبة من أثبت أصحاب أبي إسحاق، كما قال ابن معين.[٤]

وبمجموع هذه العلل في المتن والإسناد يتحرر لنا أن الرواية السالمة من القوادح والعلل هي رواية شعبة، عن أبي إسحاق، به. وهذه الرواية لم يذكر فيها شعبة هذه الزيادة، والتي هي سبب الإشكال في هذا الأثر؛ إلا أن هذه الزيادة جاءت مخرجة عند الشيخين، ولم أجد أحدا من أهل العلم انتقد هذه الزيادة عليهما؛ إلا ما نقل عن الداودي، كما سيأتي[٥]، وأما علل الإسناد فقد اتفق أهل العلم على أن كل ما في الصحيحين من الرواية عن المدلسين فإنه محمول على

---

(١) انظر: المختلطين، للعلائي (ص٩٤).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (٢٧٠/٣).

(٣) رواه عنه: البيهقي، في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٥٦/١)، وابن القيسراني، في مسألة التسمية (ص٤٧).

(٤) انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٣٧٠/٤).

(٥) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٥٣٩/٢١)، وعمدة القاري، للعيني (١٨/١٨)، وفيهما النقل عن الداودي، وسيأتي ذكر قول الداودي في المبحث الثالث: في مسالك العلماء في دفع التعارض بين الآثار.

الاتصال[١]، وأن كل ما في الصحيحين من الرواية عن المختلطين؛ فإنه محمول على أنه ثبت لديهما من طرق أخرى أنهم رووه قبل الاختلاط، أو أنه ثبت لهما صحة روايتهم لاعتبارات أخرى، مثل أن يكون هناك متابعات، ونحو ذلك.[٢]

المسألة الرابعة: في الحكم على الأثر:

الأثر صحيح بلفظيه، وهما: "آخر سورة نزلت كاملة براءة"، بزيادة: "كاملة"، وبلفظ: "آخر سورة نزلت براءة"؛ لأنه مخرج بهذين اللفظين في الصحيحين، ولأنه لم ينتقد هذه الزيادة –في الصحيحين– أحد من أهل العلم المعتبرين، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: الآثار الواردة في نزول سورة التوبة مفرقة:

هناك عدد من الآثار –جاءت في الصحيحين، وغيرهما– تدل على نزول عدد من آيات سورة التوبة على وقائع وأسباب متفرقة، وهذا مما يدل على نزول السورة مفرقة، لا جملة واحدة، وسأذكر بعض الأمثلة، مما رُوِيَ في الصحيحين، أو أحدهما، لأن المقصود التمثيل لا الحصر:

المثال الأول:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "لما توفي عبد الله بن أُبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يُصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر: معرفة أنواع علم الحديث، لابن الصلاح (ص١٥٩)، والتقريب والتيسير، للنووي (ص٣٩)، والنكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر (٦٣٦/٢)، وروايات المدلسين في صحيح البخاري، لعواد الخلف (ص٢٤).

(٢) انظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للعراقي (ص٤٤٢)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني (١٠٤٤/٦)، والاختلاط عند المحدثين ومنهج البخاري في الرواية عن المختلطين، لحميد قوفي (ص٢١).

فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما خيرني الله، فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة:٨٠]، وسأزيده على السبعين. قال: إنه منافق. قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤]".[١]

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: "لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول، دُعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُصلي عليه، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أُبي، وقد قال يوم كذا: كذا وكذا؟ قال: أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أخر عني يا عمر، فلما أكثرت عليه، قال: إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا، حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[التوبة:٨٤]، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ورسوله أعلم".[٢]

ووجه الدلالة من هاتين الروايتين:

١- أن قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة:٨٠]، نزل أولا، ثم بعد وفاة عبد الله بن أبي بن سلول نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ﴾ [التوبة:٨٤]، بدليل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧/٦)، ومسلم في صحيحه (١٨٦٥/٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٧/٢)، (٦٨/٦).

رواية ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له عمر: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما خيرني الله، فقال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾[التوبة:٨٠]، وسأزيده على السبعين". فهذا يدل على نزول هذه الآية أولا قبل وفاة ابن سلول، ثم بعد وفاته صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل النهي في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ ﴾ [التوبة:٨٤].

٢- أن عمر أخبر في الرواية الثانية أن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ ﴾[التوبة:٨٤]، نزل بعد وفاة عبد الله بن أبي بن سلول مباشرة، لقوله: "فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة"، وهذا يدل على أن هذه الآية نزلت بمفردها، وبالتالي لم تكن السورة نزلت جميعا.

المثال الثاني:

عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[التوبة:١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب، فقال

لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص:٥٦]".(١)

ووجه الدلالة من هذه الرواية: أن قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة:١١٣]، نزل بعد وفاة أبي طالب، ووفاته كانت بمكة قبل الهجرة، بينما سورة براءة أغلب آياتها نزل بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، وهذا يدل على أن السورة لم تنزل جملة واحدة.

المثال الثالث:

عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: "سمعت كعب بن مالك يحدث، حين تخلف، عن قصة تبوك: فوالله ما أعلم أحدا أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبا، وأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٧-١١٩]".(٢)

ووجه الدلالة من هذه الرواية: أن كعب بن مالك نزل بشأنه آيتان، الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٢/٦)، ومسلم في صحيحه (٥٤/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١/٦)، ومسلم في صحيحه (٢١٢٠/٤).

[التوبة:١٠٦]،[١] والثانية قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[التوبة:١١٨]، وزمن نزول الآية الثانية متراخ عن نزول الآية الأولى؛ لأن ما بين هجر النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك حتى نزول توبته خمسين ليلة[٢]، وهذا يدل على تباعد نزول ما بين هاتين الآيتين، والذي يلزم منه نزول السورة مفرقة لا جملة واحدة.

(١) هذه الآية نزلت في الثلاثة الذين خُلفوا، ومنهم كعب بن مالك، كما ذكر الطبري وعزاه لعدد من مفسري السلف. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٤٦٤/١٤).

(٢) ساق البخاري في صحيحه (٣/٦)، قصة توبة كعب بن مالك بطولها، وفيها: أنه مكث خمسين ليلة منذ أن قدم على النبي صلى الله عليه وسلم للاعتذار حتى نزول الآيات في توبته.

المبحث الثاني

بيان وجه التعارض بين أثر البراء والآثار الأخرى الواردة في نزول سورة التوبة مفرقة:

ظاهر أثر البراء الوارد بلفظ: "آخر سورة نزلت كاملة براءة"، وبلفظ: "آخر سورة نزلت تامة براءة"، يدل على نزول سورة التوبة جملة واحدة، بينما الآثار الواردة في سبب نزول بعض آيات السورة تدل على نزول السورة مفرقة، وهذا مما يفيد التعارض والاختلاف بين هذه الآثار.[1]

(١) انظر حكاية التعارض في الكتب الآتية: فتح الباري، لابن حجر (٨٢/٨)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٤٢٩/٦)، ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري، لزكريا الأنصاري (٤٤٦/٧)، والفتح السماوي، للمناوي (٧١٢/٢).

المبحث الثالث

مسالك العلماء في دفع التعارض بين هذه الآثار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مسلك الجمع:

وقد ذهب إلى هذا المسلك: الداودي، في أحد قوليه(١)، وابن حجر، والعيني(٢)، والقسطلاني(٣)، ومحمد تقي العثماني، في أحد قوليه(٤).

ويرى أصحاب هذا المسلك صحة أثر البراء في نزول سورة التوبة كاملة، وأنه لا تعارض بينه وبين الآثار الأخرى التي تدل على نزول السورة مفرقة، ويرى هؤلاء: أن المراد بقول البراء: "كاملة": أي: معظمها أو أغلبها، أي: أن أغلب آيات السورة نزلت مرة واحدة، وذلك في غزوة تبوك، قالوا: وليس مراد البراء أن السورة كلها نزلت جملة واحدة.

قال ابن حجر: "وأما السورة فالمراد بعضها أو معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك: أن أول براءة نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر، وقد نزل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وهي في المائدة، في حجة الوداع، سنة عشر، فالظاهر أن المراد معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم".(٥)

---

(١) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٤٠٢/٢٢)، وعمدة القاري، للعيني (٢٥٩/١٨)، وفيهما النقل عن الداودي.

(٢) انظر: عمدة القاري، للعيني (٢٥٩/١٨).

(٣) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٤٢٩/٦).

(٤) انظر: تكملة فتح الملهم (٤٠/٢).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (٣١٦/٨).

المطلب الثاني: مسلك الترجيح:

وأصحاب هذا المسلك على فريقين:

الأول: من رجح أثر البراء، وذهب إلى أن سورة التوبة نزلت كلها جملة واحدة، ولكن لم يُجب هؤلاء على الآثار الأخرى التي تدل على نزول السورة مفرقة، ومن الذين ذهبوا إلى هذا المسلك: السمعاني[١]، وابن عاشور[٢].

الفريق الثاني: من رجح نزول السورة مفرقة: وقد ذهب إلى هذا المسلك: الداودي في قوله الآخر[٣]، ومحمد تقي العثماني، في قوله الآخر أيضا[٤].

أما الداودي: فقد اعترض على أثر البراء، وقال: إنه ليس بشيء، إنما أنزلت سورة التوبة شيئا بعد شيء.[٥]

وأما العثماني: فإنه يرى أن ما أخبر به البراء من نزول السورة كاملة هو اجتهاد منه، وأنه لم يعلم بنزول السورة مفرقة.[٦]

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢/٢٨٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/٩٢).

(٣) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٢١/٥٣٩)، وعمدة القاري، للعيني (١٨/١٨)، وفيهما النقل عن الداودي.

(٤) انظر: تكملة فتح الملهم (٢/٤٠).

(٥) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٢١/٥٣٩)، وفيه النقل عن الداودي. الداودي.

(٦) انظر: تكملة فتح الملهم (٢/٤٠).

المبحث الرابع

الموازنة والترجيح.

الذي يظهر صوابه –والله تعالى أعلم– أن ما رُويَ عن البراء من نزول سورة التوبة كاملة هو اجتهاد منه، وليس هو من المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا في حكم المرفوع، وما كان من قبيل الرأي للصحابي فإنه لا يُعد حجة، إلا إذا اجتمع الصحابة على هذا الرأي، أو لم يُنقل عن أحد منهم خلافه.

ويدل على أن هذا المروي عن البراء هو من اجتهاده ما يلي:

أولا: أنه جاء في أكثر روايات هذا الأثر تتمة له، وفيه قول البراء: "وآخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾ [النساء:١٧٦][(١)]، والآثار عن الصحابة رضوان الله عليهم في آخر ما نزل مختلفة متعارضة[(٢)]، وهذا يدل على أن كل واحد منهم أخبر بحسب اجتهاده، وليس بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وإذ الأمر كذلك فإن ما أخبر به البراء في أول الأثر من نزول سورة التوبة كاملة هو من اجتهاده أيضا.

ثانيا: أن البراء أخبر أن سورة التوبة آخر سورة نزلت كاملة، وخالفه في ذلك ابن عباس رضي الله عنهما؛ فروي عنه أن آخر سورة نزلت كاملة هي سورة النصر[(٣)]، وهذا الاختلاف يدل على أن كلا الصحابيين قد اجتهدا في بيان آخر

---

(١) أغلب روايات أثر البراء جاء فيها هذه التتمة، وهي مروية في الصحيحين وغيرهما، ولم أذكر هذه الزيادة عند تخريج الأثر لقصد الاختصار.

(٢) هناك عدة بحوث أكاديمية تناولت جمع ودراسة هذه الآثار، منها بحث بعنوان: أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم، لتركي الهويمل.

(٣) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: قال لي ابن عباس، رضي الله عنهما: "تعلم آخر سورة من القرآن نزلت جميعا؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١]. قال: صدقت". أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣١٨/٤).

ما نزل، ولو كان ما أخبرا به مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم، أو في حكم المرفوع، لما وقع منهما هذا الاختلاف.

ثالثا: أنه ثبت أن عددا من آيات السورة نزلت على أسباب ووقائع متفرقة، وقد سبق ذكر بعضها[1]، وهذا يؤكد أن ما رُوِيَ عن البراء هو اجتهاد منه، لمعارضته تلك الروايات الصحيحة التي تقطع بنزول السورة مفرقة.

رابعا: أن روايات سبب النزول لها حكم الرفع عند جمهور أهل الحديث[2]، فهي مقدمة على أثر البراء؛ لأنها

(١) انظر: المطلب الثاني: الآثار الواردة في نزول سورة التوبة مفرقة.

(٢) سبب النزول له حكم الرفع عند جمهور أهل الحديث، كما قرر ذلك الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٢٠)، وابن حجر في النكت على كتاب ابن الصلاح (٥٣٠/٢)، والسيوطي في الإتقان (١١٥/١).

خاتمة البحث

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث، وقد خرجت بحمد الله تعالى بجملة من النتائج رأيت أنْ أُجملها في النقاط الآتية:

وقفت على أثر واحد يدل على نزول سورة التوبة كاملة، وهو أثر البراء بن عازب رضي الله عنه.

رُويَ أثر البراء بلفظ مشكل، وهو قوله: "آخر سورة نزلت كاملة براءة"، وقوله: "آخر سورة نزلت تامة براءة"، وهاتان الروايتان جاءتا في صحيحي البخاري ومسلم.

رُويَ أثر البراء بلفظ آخر غير مشكل، ولا يتعارض مع الآثار الأخرى التي تدل على نزول السورة مفرقة، وهو قوله: "آخر سورة نزلت براءة"، وهذه الرواية أيضا جاءت في صحيحي البخاري ومسلم.

مدار إسناد أثر البراء في جميع طرقه يدور على أبي إسحاق السبيعي، عن البراء، به.

الروايتان المشكلتان عن البراء جاءتا من طريق أربعة من الرواة، عن أبي إسحاق السبيعي، عن البراء، معنعنا، وقد وقفت على علتين في أسانيد هاتين الروايتين: الأولى: تدليس أبي إسحاق، والثاني: اختلاطه، وكل الرواة الذين رووه عن أبي إسحاق بهذين اللفظين المشكلين رووه عنه بعد الاختلاط.

الرواية غير المشكلة عن البراء جاءت من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، وهذه الرواية سالمة من القوادح والعلل، في متنها وإسنادها، لأن شعبة رواه عن أبي إسحاق، وصرح أبو إسحاق بسماعه من البراء، وشعبة لا يروي عن أبي إسحاق إلا بما صرح فيه بالسماع، وأيضا شعبة من أثبت الناس في أبي إسحاق.

رغم هذه العلل في هاتين الروايتين المشكلتين، إنْ في الإسناد وإنْ في المتن، إلا أني لم أقف على من انتقدهما على الصحيحين، أو قال بضعفهما، لذا فقد حكمت بصحتهما، لجلالة ومكانة الصحيحين.

الآثار المتعارضة مع أثر البراء كثيرة، أغلبها جاء في الصحيحين، وبعضها في غير الصحيحين، وكلها في أسباب نزول بعض آيات السورة، وهي تدل على نزولها مفرقة لا جملة واحدة، وقد اقتصرت على ذكر ثلاثة نماذج مما ورد في الصحيحين.

رجَّح الباحث أن ما رُويَ عن البراء من نزول سورة التوبة كاملة هو اجتهاد منه، وليس هو من المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا في حكم المرفوع، وروايات أسباب النزول مقدمة عليه؛ لأنها في حكم المرفوع، فهي أقوى منه.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، المحقق: محمد إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية، ١٣٩٤هـ.
٢- أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين، لسليمان الدبيخي، الناشر: مكتبة دار البيان الحديثة، الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣- الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم، لأحمد القصير، الناشر: دار ابن الجوزي، الأولى، ١٤٣٠هـ.
٤- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، الناشر: دار الآفاق الجديدة.
٥- الاختلاط عند المحدثين ومنهج البخاري في الرواية عن المختلطين، لحميد قوفي
٦- اختلاف الحديث، للشافعي، الناشر: دار المعرفة، ١٤١٠هـ.
٧- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، السابعة، ١٣٢٣هـ.
٨- أسباب نزول القرآن، للواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، الناشر: دار الإصلاح، الثانية، ١٤١٢هـ.
٩- الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، للعجمي، تحقيق: علاء الدين رضا، الناشر: دار الحديث، الأولى، ١٩٨٨م.
١٠- الأموال، لابن زنجويه، تحقيق: شاكر فياض، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث، ١٤٠٦هـ.
١١- أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم، لتركي الهويمل، مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢٥).
١٢- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، ت: أحمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٣- البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، الناشر: دار الكتبي، الأولى، ١٤١٤هـ.
١٤- تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، لابن معين، ت: د/ أحمد نور سيف، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الأولى، ١٣٩٩هـ.
١٥- تاريخ الثقات، للعجلي، الناشر: دار الباز، الأولى، ١٤٠٥هـ.
١٦- تاريخ دمشق، لابن عساكر، ت: عمرو العمري، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ.
١٧- التحرير والتنوير، لابن عاشور، الناشر : الدار التونسية، ١٩٨٤م.
١٨- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، ت: الفاريابي، الناشر: دار طيبة.
١٩- التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، للبرزنجي، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
٢٠- التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد الباجي، تحقيق: أبو لبابة حسين، الناشر: دار اللواء، الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢١- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، لابن حجر، المحقق: عاصم القريوتي، الناشر: مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ.
٢٢- تفسير ابن المنذر، تحقيق: سعد السعد، الناشر: دار المآثر، ١٤٢٣هـ.
٢٣- تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، الناشر: دار الوطن، الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٤- التفسير الوسيط، للواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
٢٥- تقريب التهذيب، لابن حجر، ت: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٦– التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لعبد الرحيم العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: المكتبة السلفية، الأولى، ١٣٨٩هـ.
٢٧– تكملة فتح الملهم، لمحمد تقي العثماني، مطبوع في آخر كتاب: فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم، لشبير أحمد العثماني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٦هـ.
٢٨– التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ت: مصطفى العلوي، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ.
٢٩– تهذيب التهذيب، لابن حجر، الناشر: دائرة المعارف النظامية، الأولى، ١٣٢٦هـ.
٣٠– تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ت: د/ بشار معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٠٠هـ.
٣١– تهذيب اللغة، للأزهري، ت: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ٢٠٠١م.
٣٢– التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، الناشر: دار النوادر، الأولى، ١٤٢٩هـ.
٣٣– جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣٤– الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، الأولى، ١٢٧١هـ.
٣٥– جزء الألف دينار، للقطيعي، تحقيق: بدر البدر، الناشر: دار النفائس، الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٦– دلائل النبوة، للبيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٧- الرسالة، للشافعي، ت: أحمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، الأولى، ١٣٥٨هـ.

٣٨- روايات المدلسين في صحيح البخاري، لعواد الخلف، الناشر: دار البشائر الإسلامية.

٣٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الأولى.

٤٠- سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي، مطبوع ضمن كتاب: أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، مع تحقيق كتابه «الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعي»، دراسة وتحقيق: سعدي الهاشمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الأولى، ١٤٠٢ هـ.

٤١- شرح علل الترمذي، لابن رجب، تحقيق: همام سعيد، الناشر: مكتبة المنار، الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٢- شرح مشكل الآثار، للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.

٤٣- صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٤٤- صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٤٥- العلل، لابن أبي حاتم، تحقيق: سعد الحميد، وخالد الجريسي، الناشر: مطابع الحميضي، ١٤٢٧هـ.

٤٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٤٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، الناشر: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٤٨– الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، للمناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، الناشر: دار العاصم.
٤٩– فتح المغيث بشرح الفية الحديث، للسخاوي، ت: علي حسين، الناشر: مكتبة السنة، الأولى، ١٤٢٤هـ.
٥٠– فضائل القرآن، لابن الضريس، تحقيق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
٥١– فضائل القرآن، للمستغفري، المحقق: أحمد السلوم، الناشر: دار ابن حزم، ٢٠٠٨م.
٥٢– القاموس المحيط، للفيروزآبادى، الناشر: مؤسسة الرسالة، الثامنة، ١٤٢٦هـ.
٥٣– قواعد التحديث، للقاسمي، الناشر: دار الكتب العلمية.
٥٤– كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي، الناشر: دار الهلال.
٥٥– لسان العرب، لابن منظور، الناشر: دار صادر، الثالثة، ١٤١٤هـ.
٥٦– المختلطين، للعلائي، تحقيق: رفعت فوزي، الناشر: مكتبة الخانجي، الأولى، ١٤١٧هـ.
٥٧– مختلف الحديث وموقف النقاد والمحدثين منه، لأسامة الخياط، الناشر: مطابع الصفا، الأولى، ١٤٠٦هـ.
٥٨– المخلصيات، لأبي طاهر المخلص، تحقيق: نبيل جرار، الناشر: وزارة الأوقاف في قطر، ١٤٢٩هـ.
٥٩– المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، المحقق: محمد الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء.

٦٠- مسألة التسمية، لابن القيسراني، المحقق: عبد الله مرشد، الناشر: مكتبة الصحابة.

٦١- مسائل الإمام أحمد بن حنبل، رواية ابن أبي الفضل صالح، تحقيق: فضل الرحمن دين محمد، الناشر: الدار العلمية، الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٦٢- مستخرج أبي عوانة، لأبي عوانة، ت: أيمن عارف، الناشر: دار المعرفة، الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٣- مسند أبي يعلى، لأبي يعلى، ت: حسين أسد، الناشر: دار المأمون، الأولى، ١٤٠٤هـ.

٦٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١هـ.

٦٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، الناشر: المكتبة العلمية.

٦٦- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، ت: كمال الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الأولى، ١٤٠٩هـ.

٦٧- معالم السنن، للخطابي، الناشر: المطبعة العلمية، الأولى، ١٣٥١هـ.

٦٨- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٦٩- معرفة أنواع علم الحديث، لابن الصلاح، المحقق: عبد اللطيف الهميم، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.

٧٠- معرفة علوم الحديث، للحاكم، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ.

٧١- منحة الباري بشرح صحيح البخاري، لزكريا الأنصاري، تحقيق: سليمان العازمي، الناشر: مكتبة الرشد، الأولى، ١٤٢٦هـ.

٧٢–ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي البجاوي، الناشر: دار المعرفة، ١٣٨٢هـ.
٧٣–الناسخ والمنسوخ، للنحاس، تحقيق: محمد عبد السلام، الناشر: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ.
٧٤–نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، ت: عصام الصبابطي، الناشر: دار الحديث، الخامسة، ١٤١٨هـ.
٧٥–النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر، ت: ربيع المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الأولى، ١٤٠٤هـ.

* * *